

الأمثال في القرآن الكريم

(212) فقد وصف الظمآن بصفات عديدة: الأولى: حسان السراب ماءً ، كما قال سبحانه: (كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً). الثانية: إذا وصل إلى السراب لم يجده شيئاً نافعاً ، كما قال سبحانه (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) وإنَّما خصَّ الظمآن به مع أنَّ السراب يتراءى ماء لكلِّ راءٍ ، لأنَّ المقصود هو مجيء الرائي إلى السراب، ولا يجيئه إلاَّ الظمآن ليرتوي ويرفع عطشه. الثالثة: عند ما يشرف على السراب لا يجد فيه ماءً ، ولكن يجد ا سبحانه عنده، كما قال سبحانه: (وَوَجَدَ ا سبحانه عنده) . وهذا خبر عن الظمآن، ولكن المقصود منه في هذه الجملة هو الكافر، والمعنى وجد أمر ا ووجد جزاء ا ، وذلك عند حلول أجله وإشرافه على الآخرة. فالكافر يتصور أنَّ ما يقدم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته وبعده، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له، ولكن يتجلَّى له خلاف ذلك وإنَّ الأمر أمر ا لا أمر غيره فلا يجدون أثراً من ألوهية آلهتهم. فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم، كما يقول سبحانه: (فَوَافَّاهُمْ ا حسابهم) . ثمَّ إنَّه سبحانه يصف نفسه بقوله: (وَإِنا سريع الحساب) . وبذلك تبين أنَّ الآية المباركة لبيان حال الظمآن الحقيقي إلى قوله: (لم يجده شيئاً) ، كما أنَّها من قوله (ووجد...) يرجع إلى الظمآن لكن بالمعنى المجازي وهو الكافر.